الحاج حسيب عواضة

التنشئة الاجتماعية سلوك و أخلاق تحاكي المجتمع

الإنسان كائن اجتماعي، لا يتمكن أن يعيش بمعزل عن الجماعة، فهو منذ ولادته يمرّ بجماعات مختلفة، متنقلاً من جماعة الى أخرى، محققاً بذلك إشباع حاجاته المختلفة. والمجتمع يمثل المحيط الذي ينشأ فيه اجتماعياً وثقافياً، فتتحقق بذلك تنشئته الاجتماعية من خلال نقل الثقافة، والمشاركة في نقل العلاقات مع أفراد الأسرة أولاً، وزملاء الدراسة واللعب، وأعضاء المؤسسات ومجتمع المعيشة... فيكوّن عناصر تماسك المجتمع...

لذلك يمكن القول بأن الفرد ذو طبيعة إنسانية سليمة، قادر على أن يقيم علاقات وجدانية مع الآخرين. وهذه الطبيعة الإنسانية تتألف من العواطف التي تعتبر المشاركة أكثر أهمية، وهي تمثّل عواطف الحب والكراهية والطموح والشعور بالخطأ والصواب، بالخير والشر... وهنا تحصل المحاكاة بين الأخلاق والسلوك، حيث يظهر دور التنشئة الاجتماعية في دفع الإنسان الى المشاركة الفعّالة المنطقية، في واقعه الاجتماعي المحيط به.

أولاً: مفهوم التنشئة الاجتماعية:

حَظِيَ مفهوم التنشئة الاجتماعية باهتمام كبير في مختلف مجالات المعرفة (علم الاجتماع، الأنثربولوجيا، علم النفس) وفي المعاجم والقواميس، فضلاً عن الأبحاث والدراسات الاجتماعية والنفسية والتربوية... وأهم هذه المفاهيم التي تتعلق بالإنسان في سياقه الاجتماعي هي التالية:

1- التنشئة الاجتماعية هي عملية إكساب الفرد الخصائص الأساسية للمجتمع الذي يعيش فيه، ممثلة في القيم والإتجاهات والأعراف السائدة، ومعايير السلوك الاجتماعي المرغوب في هذا المجتمع، وهي عملية مستمرة عبر زمن متصل، تبدأ من اللحظات الأولى من حياة الفرد إلى وفاته (زين العابدين درويش، علم النفس الاجنماعي ص 68).

2-عرّف" بارسونز " التنشئة الاجتماعية: بأنها عملية تعلّم تعتمد على التقليد والمحاكاة والتوحد مع الأنماط العقلية والعاطفية والأخلاقية عند الطفل والراشد، وهي عملية تهدف إلى إدماج عناصر الثقافة في نسق الشخصية، كما أنها عملية مستمرة تبدأ من الميلاد داخل الأسرة وتستمر في المدرسة وتتأثر بجماعات الرفاق...(عبد الفتاح تركي موسى، التنشئة الاجتملعية ص 21)

3-قال أميل دوركهايم:" التنشئة الاجتماعية هي عملية إستبدال الجانب البيولوجي بأبعاد اجتماعية وثقافية، لتصبح هي الموجهات الأساسية لسلوك الفرد في المجتمع .

4-يرى آخرون أن التنشئة الاجتماعية هي عملية تشكيل السلوك الإنساني للفرد، وأنها عملية تحويل الكائن البيولوجي إلى كائن اجتماعي، كما أنها العملية التي تتعلق بتعليم أفراد المجتمع من الجيل الجديد كيف يسلكون في المواقف الاجتماعية المختلفة على أساس ما يتوقعه منهم المجتمع الذي ينشأون فيه، كذلك هي عملية إكساب الفرد ثقافة المجتمع(علي ليلة، الطفل والمجتمع ص21).

5-كما يرى بعض المفكرين: أن التنشئة الاجتماعية عملية تعلّم وتعليم وتربية تقوم على التفاعل الاجتماعي، وتهدف إلى إكساب الفرد سلوكًا ومعايير وإتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة، تمكّنه من مسايرة جماعته والتوافق الاجتماعي معها، وتكسبه الطابع الاجتماعي وتيسّر له الإندماج في الحياة الاجتماعية.

6-هذا ويعرّف" كلوزين Clausen " التنشئة الاجتماعية بأنها العملية التي عن طريقها يوجه الطفل كي يسير على نهج حياة أسرته والجماعات الاجتماعية الأخرى التي يجب أن ينتمي إليها، ويسلك في غمارها بصورة ملائمة، وذلك كي يصبح في النهاية مؤهلًا وجديرًا بدور الراشد الناضج (محمد عاطف غيث ، الطفل والمجتمع ص 449).

7-ويرى البعض أن التنشئة الاجتماعية هي عملية التفاعل المركّب التي من خلالها يتعلم الفرد العادات والمهارات والمعتقدات ومستويات الحكم الضرورية لمشاركته الفعالة في الجماعات والمجتمعات المحلية (جابر عبد الحميد ، معجم علم النفس والطب النفسي ص360) .

8-في حين عرّفها آخرون، بأنها العملية التي يصبح من خلالها الفرد واعياً ومستجيباً للمؤثرات الاجتماعية بما تشمل عليه من ضغوط وما تفرضه من واجبات حتى يعرف كيف يعيش مع الآخرين، كما أنها العملية التي تحوّل الفرد إلى إنسان اجتماعي يمثّل المجتمع الذي يعيش فيه، وهي ممتدة بإمتداد الحياة، وفي النهاية هي نتيجة لهذا التفاعل (لويس كامل، قراءات في علم النفس الاجتماعي ص 310).

9-عرّفها "محمد حسن الشناوي" بأنها عبارة عن عملية تربية وتعليم هدفها تشكيل شخصية الفرد من جميع الجوانب الروحية، أوالعقلية، أوالجسمية أو المعرفية أو السلوكية ... وفقًا لمعتقدات المجتمع وعاداته وتقاليده وأعرافه ونظم تفكيره.(زينب حسن المهدي، دور الضوابط والمحددات الاجتماعية في التنشئة الجمالية ، اطروحة دكتوراع ص14)

وأخيراً، التنشئة الاجتماعية حسب مصطلحات العلوم الاجتماعية هي العملية التي يتم بها إنتقال الثقافة من جيل الى جيل، والطريقة التي يتم فيها تشكيل الأفراد منذ طفولتهم ، ويدخل في ذلك ما يلقّنه الأهل والمدرسة والمجتمع للأفراد من لغة وعادات وتقاليد وقيم ومهارات ومعلومات...

يتضح مما تقدم أن عملية التنشئة الاجتماعية عملية معقّدة متشعبة، تتضمن من جهة كائنًا بيولوجيًا له تكوينه الخاص، واستعداداته المختلفة، ومن جهة أخرى شبكة من العلاقات والتفاعلات الاجتماعية التي تحدث داخل إطار معين من المعايير والقيم، ومن جهة ثالثة تفاعلاً ديناميكيًا مستمرًا بين التنشئة والفرد يؤدي إلى نمو ذات الفرد تدريجيًا.

ثانيا: خصائص التنشئة الاجتماعية:

يمكن استخلاص السمات التالية كخصائص تتسم بها التنشئة الاجتماعية:

- التنشئة الاجتماعية عملية تعلّم.
- عملية مستمرة تبدأ مع الحياة ولا تنتهي إلا بانتهائها.
- تختلف من مجتمع إلى آخر بالدرجة ولكنها لا تختلف بالنوع.
- عملية لا يقتصر القيام بها على الأسرة فقط، بل تحتاج الى المدرسة وجماعة الرفاق والمجتمع والمؤسسات الدينية ووسائل الإعلام المختلفة...

- ليست ذات قالب أو نمط واحد جامد وإنما يختلف نمطها من بيئة إلى أخرى ومن مجتمع إلى آخر.
- تعني اكتساب كل فرد شخصية اجتماعية متميزة قادرة على التحرك والنمو الاجتماعي في إطار ثقافي معين.
- تمتد عبر التاريخ.
- تهتم بالإنسان دون غيره.
- عملية تلقائية، أي ليست من صنع فرد أو مجموعة من الأفراد بل هي من صنع المجتمع.
- عملية عامة منتشرة في جميع المجتمعات البدائية منها والمتقدمة .
- عملية نفسية واجتماعية في آن واحدٍ.(زينب مصطفى عثمان، دراسة التنشئة الاجتماعية للطفل في الأسرة ص22)
- ثالثاً: أهداف التنشئة الاجتماعية

تعتبر التنشئة الاجتماعية من أهم العمليات المسؤولة عن الإستفادة من إمكانيات المجتمع وتلبية احتياجاته، تسعى إلى تحقيق مجموعة من الأهداف، ومنها :

- إنتاج شخص ذي كفاية اجتماعية، بمعنى إعداد القدرة لديه على التفاعل الاجتماعي الحقيقي مع كل من البيئة الطبيعية والاجتماعية .
- إدماج القيم الاجتماعية والخُلُقية في شخصية الفرد، وتكوين ضوابط مانعة لممارسة السلوك اللامقبول اجتماعيا.
- إكساب الفرد أنماط السلوك السائدة في مجتمعه، بحيث يمتثل القيم والمعايير التي يتبناها المجتمع، وتصبح قيمًا ومعاييرًا خاصة به،
- إكساب الفرد نسقًا من المعايير الأخلاقية التي تنظم العلاقات بينه وبين أعضاء الجماعة.
- تلقين الأطفال نُظُم المجتمع الذي يعيشون فيه، منتقلين من التدريب على العادات الخاصة بهذا المجتمع الى الإمتثال لثقافته .

- تغيير الحاجات الفطرية إلى حاجات اجتماعية، وتغيير السلوك الفطري ليصبح الفرد إنسانًا اجتماعيًا يتعلم أخلاقيات المجتمع الذي يعيش فيه، ويتقبل المكانة الاجتماعية التي يحددها له .
- تحقيق عملية الضبط الاجتماعي بالنسبة للمجتمع بشكل عام والإمتثال لقواعده وقيمه بشكل خاص،
- إيجاد وإعداد مواطن صالح يستطيع مواجهة الحياة ومشاكلها، حتى يكون نافعًا في المجتمع ويعمل على تطويره وازدهاره.

رابعاً: العوامل المؤثرة في التنشئة الاجتماعية

تتأثر التنشئة الاجتماعية بالكثير من العوامل المجتمعة والمتداخلة والمتفاعلة فيما بينها كالجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعوامل الأسرية (كعدد الأبناء، وترتيب الطفل فيها، واتجاهات الوالدين الفكرية...) وغير ذلك من العوامل...وتتوزع هذه العوامل بين :

1- عوامل داخلية: الدين، الأسرة، العلاقات الأسرية، الطبقة الاجتماعية، الوضع الاقتصادي والاجتماعي للأسرة، المستوى التعليمي والثقافي للأسرة، نوع الفرد(ذكر- انثى).

2- عوامل خارجية: المؤسسات التعليمية، جماعة الرفاق، ثقافة المجتمع، دور العبادة، الوضع السياسي والاقتصادي، وسائل الاعلام...

خامساً: الأخلاق

لا شكّ بأنّ الأخلاق هي سمة المُجتمعات الرّاقية المُتحضّرة، فأينما وُجِدَت الأخلاق فثمّة الحضارة والرّقي والتّقدم، فالأخلاق موجودة راسخةٌ برسوخ الأمم ونشوئها ، غير أنّها كانت ناقصةً مسلوبة الروح والمضمون، فجاءت الشّريعة الإسلاميّة لتُكمّلها وتُلبسها لباساً يُجمّلها ويَجعلها في أحسن صورة، والأخلاق الحسنة هي حالة إنسانيّة سلوكيّة يسعى كثيرٌ من النّاس الباحثين عن الكمال للوصول إليها وإدراكها.

1- مفهوم الأخلاق هي المبادئُ والقواعدُ المُنظِّمةُ للسُّلوكِ الإنسانيّ.

أ- الأخلاق في اللغة :الأخلاقُ جَمع خُلُق، وهو الطبع والسَّجية والدِّين، وتعني الأخلاق أيضاً حالٌ للنَّفْس رَاسِخَةٌ تَصدُرُ عنها أفْعالُ الخَير أو الشرِّ مِن غير حاجةٍ إلى تُفكّر أو تمهّل، بل تصدر بناءً على ما يتلازم مع الطبع والعادة، وهي مجموعةُ من الصِّفاتِ البشريَّةِ والسُّلوكياتِ التي يمكن وصفها بالحُسنِ أو القُبْح.(3)

ب- الأخلاقُ اصطلاحاً: يمكن تعريف الأخلاق بجملةٍ من التعريفات الإصطلاحيّة، وذلك بناءً على نظرة العلم الخاص بذلك التعريف للأخلاق ومن تعريفاتها في اصطلاحات العلماء ما يأتي:

- الأخلاق في الاصطلاح الفلسفيّ: عرَّف بعض علماء الفلسفة كأَرسطو وأفلاطون وغيرهم أنّ الأخلاقَ هي: القدرة على التّمييز بينَ الخيرِ والشَّر عند الأفراد .
- ويمكن تعريفها أيضاً من المنظور الفلسفي بأنّها: الفضيلة التي يَتغلَّبُ فيها الجانِبُ الإلهيُّ على جانِبِ الشهوات وتفضيل المحبوبات والمرغوبات.(4)
- ويَرى بعض الفلاسفة أنَّه يمكن تعريف الأخلاق بأنّها: القدرة على ضبط الشَّهَواتِ بالعَقلِ ومُمارسَة الفَضائِل والمكارم من الصفات وتمييز الحسن منها من القبيح.(4)

2-أهمية الأخلاق في بناء المجتمع

تعتبر الأخلاق قاعدة أساسية لبناء المجتمعات، حيث تُبنى عليها جميع القوانين والأحكام، الأمر الذي يجعلها أساس صلاح المجتمع، والدرع الواقي من المسبّبات المؤدّية لانهياره، وتحويلها إلى مجتمعات تحكمها الشهوات أو الغرائز، وبالتالي سيادة قانون الغاب فيها.

كما تعتبر الأخلاق العنصر الأساسي في إنشاء أفرادٍ مثاليين، وأسر سليمة، ومجتمعاتٍ راقية، ودولٍ متقدّمةٍ، لذلك تلعب دوراً أساسياً في تهذيب المجتمعات، وإعدادها إعداداً فاضلاً، علماً أنّ الأخلاق المثالية هي التي تحول دون انهيار المجتمعات وانحلالها. كما أنّها تصون المدنيّة والحضارات من الضياع، ممّا يجعلها المسبّب الأساسي لنهضة الأمم، وقوّتها.

كذلك تلعب الأخلاق دوراً أساسياً في تنمية الشعور الجماعي ، وفي تنظيم العلاقات بين الأفراد، الأمر الذي يقوّي أواصر المجتمع، ويزيد من ألفته، ومن تعاونه، وتماسكه، وبالتالي قوّته.

وتلعب الأخلاق أيضاً دوراً في تنمية الإرادة، ووضع حدود للشهوات، الأمر الذي يدفع الأشخاص لإشباعها بالطرق الصحيحة والشرعية، وبالتالي كبح جماح النزوات.

3-أخلاقيات العمل الأخلاقيات الواجب على المرء أن يتحلّى بها في حياته الشخصيّة، تعتبر جزءًا لا يتجزأ من المجتمع كأخلاقيات العمل، وأخلاقيات طلب العلم، وأخلاقيات التعامل مع الآخرين... وقد اقترحت الجامعة الأمريكية المعروفة بسانت ليو بعض الخطوات الواجب العمل عليها من أجل الوصول إلى الأخلاقيات العالية للعمل:

- الحرص على الالتزام التّام بمواعيد العمل والحضور المسبق دومًا، الأمر الذي يدفع بالمرء ليكون بالرّيادة.
- الحرص على العمل على تطوير وتنمية المهارات المهنيّة، وذلك عن طريق المواقف السليمة والمبادئ والقيم الأخلاقية في العمل.
- الحرص على الانضباط التّام في العمل والتركيز للحصول على أفضل جودة ممكنة للإنتاج العقلي أو المادّيّ أو المعنويّ.

الحرص على استخدام العقل والحكمة في العمل وتنظيم جدول الأعمال من خلال الجدّ في أوقات العمل مع الحرص على استحقاق استراحة كافية.

4-نصائح لتعزيز الأخلاق وتقويتها في النفوس

- تربية الأبناء تربيةً صالحةً، وتوجيههم، وتنشأتهم على مكارم الأخلاق، كالحياء، والصبر، والعفة، والكرم، والتسامح، وغيرها، الأمر الذي يوصل الأفراد إلى حالة من النضوج العاطفي والفكري، وبالتالي ينتقل الفرد من طور الانضباط بسبب الآخرين إلى طور الانضباط بواسطة الذات، مما يدفع الأفراد للحفاظ على القانون، واحترامه، وبالتالي حماية قيم المجتمع.

- توفير طرق لإشباع الغرائز بطريقةٍ نظامية، وذلك بتوفير فرص عمل صحيحة وسليمة، ورفع دخل العاملين، وتهيئة المجال لهم للزواج والاستقرار في أسرة.
- إغلاق باب إشباع الغرائز بطريقةٍ فوضوية، وذلك بإغلاق الملاهي الليلة، ومنع الاختلاط المحرّم، وغيرها من المفاسد.
- بثّ الثقافة الأخلاقية، وتدريسها للأفراد بطريقةٍ سلسة، مع الحرص على أن يدرسها من هو كفءٌ لذلك.
- التوجيه الإعلامي الأخلاقي، علماً أنّ الإعلام يلعب دوراً أساسياً في التأثير على الرأي العام، مع ضرورة الإبتعاد عن الأعمال ذات المفاهيم الركيكة والسطحية.

"وإنما الأممُ الأخلاقُ ما بَقِيَتْ فإن همُ ذهبتْ أخلاقُهُم ذهبوا"

وهذا تلخيصٌ موجزٌ للارتباط الوثيق بين بقاء الأمم وانحسارها مع الأخلاق.

وقد قرنت الدراسات والبحوث العلمية الصلاح والإصلاح في المجتمعات بمكارم الأخلاق. فالمجتمعات التي صلحت أخلاق شعوبها تصلح حالها وتسمو بنفسها ، ولطالما رُبطت مكارم الأخلاق بالمحافظة على بقاء الأمم وازدهارها.

سادساً: السلوك

يكون الانسان شخصيته من خلال تكرار السلوكيات التي تتأثر بالعلاقات الشخصية والتوقعات الاجتماعية ... إنه يطور إدراكه من خلال الانتباه الإنتقائي لما يدور في بيئته وما يتلقاه من عوامل دعم نفسي وتقبّل واستحسان...

لذلك فإن السلوك هو نتاج وردة فعل لتوقعات المجتمع عن الفرد والتي تؤثر بشكل مباشر في حياته المستقبلية . وقد تكون هذه التوقعات إيجابية توقظ عنده جذور الإبداع و التميز أو سلبية تُخمد هذه الجذور...

1-تعريف السلوك

يُعرّف السّلوك بأنّه مصدرٌ يُسمّى به الفعل أو ردّ الفعل لغرضٍ معيّن أو عضويّة مُعينة، وغالباً ما يرتبِطُ بالمحيط ، كما يمكن أن يكون واعياً أو غير واعٍ، أو طوعيّاً وغير طوعيّ، ويؤثِّر بشكلٍ مباشر في العالم الخارجيّ الذي يُحيط بالكائن الحيّ ، ممّا يؤدي إلى نشوء بعضِ المشكلات الاجتماعيّة في علاقات النّاس ببعضهم، وحدوث أثرٍ نفسيّ على الفرد وعلى محيطه؛ فيكون أثر السّلوك بمثابة تغذية راجعة تجعل الفرد مُدركاً لسلوكه.(1)

وتوجَدُ أنواعٌ من السّلوك؛ السّلوك الإجرائيّ الذي يعتمد على مثيرٍ معيّن في البيئة الخارجية، والسّلوك الفضوليّ لدى بعض الأفراد، والسّلوك المقصود، والسّلوك المدبّر، كما أنّ للسّلوك قوانين نذكر منها: القوانين المُتحرّكة وما يتبعها، والقوانين السّاكنة ومشتقاتها، والقوانين التّفاعلية وفروعها.(٢)

2-أثر السلوك في المجتمع

كثيراً ما نشكو من سلوك الفرد إذا خالف قيم ومبادئ وعادات وتقاليد المجتمع، بالمقابل نمدح الفرد الذي ينسجم مع تلك القيم و المبادئ العادات... دون أن نتعامل مع هذا السلك كمؤشر على تطور المجتمع أو تراجعه، ودون معرفة التأثيرات الناجمة عن هذا السلوك أو ذاك. بإعتبار أن السلوك المجتمعي هو نتاج العلاقات الدينامية التي تصدر عن تفاعل الفرد مع أفراد المجتمع الآخرين. ويتخذ هذا التفاعل نمطين : سلبي وإيجابي، ويعكس هذين النمطين عملية التنشئة الاجتماعية التي ينشأ عليها الفرد، وضغط الواقع البيئي(المحيط) والحالة الداخلية للفرد والتي تكون بصورة عامة مكتسبة من التجارب السابقة و الخبرات المترسبة فضلاً عن الخصائص الوراثية. مع الإشارة الى أن محددات سلوك الفرد ترجع الى عوامل متداخلة تشمل التغيرات الجسدية و النضج العقلي والشخصية الثقافية التي يعيش فيها ويتعامل معها.

المراجع

1- زين العابدين درويش:علم النفس الاجتماعي، أسسه وتطبيقاته، دار الفكر العربي، القاهرة 1999.

2- عبد الفتاح تركي موسى: التنشئة الاجتماعية (منظور إسلامي)، المكتب العلمي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1998.

3- علي ليلة: الطفل والمجتمع، التنشئة الاجتماعية وأبعاد الانتماء الاجتماعي، المكتبة المصرية، القاهرة، 2006.

4- محمد عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1979.

5- جابر عبد الحميد، علاء الدين كفافي:معجم علم النفس والطب النفسي، دار النهضة، القاهرة، جـ7، 1995.

6- لويس كامل: قراءات في علم النفس الاجتماعي في البلاد العربية، المجلد الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1970.

7- زينب حسن المهدي: دور الضوابط والمحددات الاجتماعية في التنشئة الجمالية لدى أفراد المجتمع، رسالة دكتوراة، قسم أصول التربية الفنية، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، 2006م.

8- ابتسام مصطفى عثمان: دراسة التنشئة الاجتماعية للطفل في الأسرة العادية ودور الإيواء، رسالة دكتوراه، كلية التربية، جامعة الإسكندرية، 1988م.

9-محمد عاطف عيث: دراسات في علم الاجتماع، نظريات وتطبيقات، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان 1985، صـ90.

10- أحمد زكي بدوي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مرجع سابق، صـ400.

11- عبد الواحد علواني:تنشئة الأطفال وثقافة التنشئة، دار الفكر العربي، دمشق، 1997م، صـ 28

12- محمد يسري موسى: مصادر وآليات التنشئة الاجتماعية لدى لاعبي الفرق القومية في جمهورية مصر العربية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية الرياضية، جامعة حلوان 1999، صـ 35

13- السيد عبد القادر شريف: التنشئة الاجتماعية للطفل العربي، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، القاهرة 2004 ص13.

16- معن خليل العمر: التنشئة الاجتماعية ، دار الشروق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة 2004، ص صـ 61، 62.